الصعيدين، الاقليمي والعالمي، تزداد شراسة وحدة؛ ولا بد، في نهاية الأمر، من التعامل معها بحزم، واستناداً الى القوة.

فعلى الصعيد الاقليمي، اولاً، قدّم الفلسطينيون والعرب، خلال العقد المنصرم على الأقل، تنازلات كثيرة ومشاريع سلام مختلفة، دون جدوى. ويبدو ان هذه المشاريع ستبقى كذلك، اي دون جدوى، ما لم يتم دعمها بالقوة. وفي مثل هذا الوضع يتبادر الى الذهن اقتراح «بسيط» وعملي للغاية، وهو العمل جدياً لاعادة احياء الجبهة الشرقية، التي يمكن ان تضمّ، بداية، كلاً من العراق والاردن والفلسطينيين. ان كل واحد من هذه الاطراف الثلاثة شعر جيداً، ولا يزال يشعر، بالخطر الاسرائيلي الذي يتهدده، وسيبقى يتهدده ما لم يتم احتواؤه، ومن ثمّ ازالته. لقد كانت الجبهة الشرقية حلماً دائماً لدى بعض الاستراتيجيين العرب، حالت دون تحقيقه موانع عدة، لا مجال للتطرق اليها هنا. ولكن، الآن، يبدو ان الوقت قد حان لذلك، واصبح المشروع قابلاً للتحقيق. فمع احتواء الابتزاز النووي الاسرائيلي، تعود القوى التقليدية لتحتل حيزاً هاماً. وفي هذا المجال، العرب هم الأكثر عدة وعدداً، او يستطيعون ان يصبحوا كذلك دون عناء كبير. ولا حاجة الى التذكير بأن جبهة شرقية نشطة ليست، بالنسبة الى الصهيونيين، مما يمر عليه مرور الكرام، او لا يكترث به. وقد لا يمر وقت طويل على اقامتها، وما ان يتّم ذلك، حتى تبدأ اسرائيل باعادة حساباتها وتتجه نحو «عقلانية» شبيهة بتلك التي يتميز بها بعض العرب.

وعلى الصعيد العالمي، ثانياً، تبدو التحديات الموجهة ضد العرب اكثر عمقاً. ففي العقد الأخير من القرن العشرين تشهد مناطق واسعة من الكرة الارضية اعادة رسم خرائطها السياسية، والاقتصادية. فالمعسكر الشرقي يتفكك، ويبدو انه سيختفي بصفته تلك، فيما يلهث معظم دوله، ان لم يكن كلها، للالتحاق بالغرب، او التشبّه به، او مراعاته. واوروبا تتجه نحو الوحدة الاقتصادية ـ السياسية، محاولة ايجاد دور اكبر لها في العالم. وهذه التطورات تجعل النفوذ الغربي عموماً، والاميركي خصوصاً، الأكثر طغياناً؛ وهو نفوذ ليس في مصلحة العرب عموماً، والذين، بدورهم، يفترض ان لا يسمحوا لانفسهم بالبقاء تحت رحمته.

وفي مثل هذه الاوضاع، وعلى هذه الارضية، يبدو التطور التكنولوجي العسكري، الذي يفترض ان يجرّ تطوراً اقتصادياً مدنياً ايضاً، والذي يقوده العراق نيابة عن العرب، هو الاسلوب الامثل لمواجهة تلك التحديات.